من تراب الطريق!

(٢١٨) تقرير الخارجية الأمريكية ! (*)

(١)

خرجت علينا الخارجية الأمريكية، كعادتها كل عام، بتقريرها السنوى عن حقوق الإنسان فى العالم باستثناء الولايات المتحدة ذاتها، فالكل تحت الرقابة والمتابعة عداها، فهى من طبقة فوق الطبقات، وما يجرى فيها فى معتقلاتها - وليس معتقل جوانتانامو أشهرها - فلا شأن لأحد به، وكيف وهى حاكمة العالم ومالكة مقاديره ومقادير دوله وشعوبه وكل من دب على الأرض أو حملته بطن أو طار به جناح أو اختفى تحت أمواج البحر !

وكعادة التقرير اختص مصر بعنايته ونقده وتعقيباته .. فقانون الطوارئ لا يزال ساريا، وقوات الأمن استخدمت عنفا مميتا غير مبرر، وعذبت وأساءت معاملة المسجونين والمعتقلين دون مساءلة، وانخفض احترام الحكومة لحريات الصحافة وتكوين الجمعيات والحريات الدينية، وزدت قيود الإعلام بما فى ذلك المدونون، وتراجعت حقوق الإنسان خلال عام ٢٠٠٨ عما سبقه، مع ارتكاب قوات الأمن لكثير من انتهاكات حقوق الإنسان، وفى الوقت الذى انتقد التقرير ما أسماه بتدخلات للسلطة التنفيذية فى شئون القضاء، فإنه تفضل بالثناء على ما بذلته الحكومة المصرية من جهود كبيرة وفعالة لمكافحة ختان الإناث، وإصدارها وتنفيذها تشريعات تجرمه، بالإضافة إلى صدور أول حكمين فى جرائم التحرش الجنسى !

(*) المال ٢/٣/٢٠٠٩

ولا يستطيع المرء أن يخفى اندهاشه من هذه الفاعلية الأمريكية المتعدية، ولا ما يكشفه النقد والثناء من تدخل مستمر فى صميم شئوننا الداخلية، حتى فى مسألة حساسة كشأن ختان الإناث الذى يبدو من الإطراء أن أمريكا كانت طرفاً حاضراً فى تجريمه !.. فنحن فى بلدنا نقول هذا كله وزيادة عن حقوق الإنسان المهيضة فى بر مصر، ولكنه حقنا لا حق صاحبة المقام الرفيع الولايات المتحدة الأمريكية، ونحن من قديم نواجه عادة " ختان الإناث " بما تستأهله واضعين فى اعتبارنا كثيرا مما لا يستطيع غيرنا أن يقدره كتقدير أهل مكة الأدرى بشعابها. ونحن نحسب أن نعاتب حكومتنا وسلطاتنا عن أى تجاوزات تمس الحريات وحقوق الإنسان، ولكنا لا نسيغ ولا نقبل الرقابة الأمريكية المتطفلة علينا سواء بالنقد أو بالحمد والثناء كما فعلت بالنسبة للختان !

لا يمارى عاقل فى أن التقرير صادف الواقع فى أمور كثيرة، منها الاعتقالات والانتهاكات وملاحقة الصحافة فيما لا يرضى. ولكن مالم يقله أو يرصده التقرير، أن هناك جنوحات فى بعض الممارسات الصحفية عن ميثاقها، بلغت أحيانا الترويج لبراءة مطلوبة لا تصادف محلها .. يلحظ المراقبون أنه جارى الترويج لها على أصعدة مختلفة وبأساليب لا تفتقد التنسيق .. شارك فيها - ربما لأسباب أخرى - بعض الصحف الخاصة !

ظنى أيضا أن مالم يقله التقرير أن هناك إسرافاً لا يصادف محله فى حظر النشر على قضايا ربما كان الأجدى ليستعلم الجميع - أن تترك البحبوحة للنشر ليعرف الناس كيف يجمح بعض الأغنياء وكيف شجعت الثروات الفلكية على الاستهانة بكل شىء حتى بأرواح الناس !